

صورة القبيح في شعر نزار قباني

(الشعوب السلبية) أنموذجاً

دكتور عبدالحليم عبدالله عضو هيئة تعليمية

كلية العلوم الإسلامية في جامعة آرتوكلو ماردين/ تركيا

Abdulhalim ABDULLAH (*)

المُلخَص

إنَّ الشَّاعر نزار قباني اسم لامع في عالم الشَّعر، وإنَّ اسمه لا يخفى على مهتمِّ بالأدب العربي، وإنَّ اختلف النَّاس في شعره والحكم الأخلاقيِّ فيه، فإنَّهم لم يختلفوا على شاعريته وحضوره الشَّعري في عالم الأدب، وقد كَتَبَ كثيرون عَنِ الجمالياتِ في شعره، غير أنَّه لم يكتب أحدٌ - ممَّن أعلم - عن القبيح في شعر نزار، ولذلك سيرصد هذا البحث تجلِّياتِ القبيح في شعره، وجمالياتِ هذا القبيح. يمكننا أن نلاحظ القبيح في شعر قباني في ثلاثة أطرٍ فنية عامة، هي:

أنموذج الشعوب السلبية، وأنموذج الرِّجل المتسلِّط المتناقض، وأنموذج المرأة القبيحة.

غير أنَّني سأقتصر على سلبية الشعوب أنموذجاً؛ لما في هذا المحور من غنى وتنوع.

الكلمات المفتاحية: القبيح - الجماليات - نزار قباني - الشَّعر.

*) Dr., Öğr. Üyesi, Mardin Artuklu Üniversitesi Temel İslam Bilimleri
(e-posta: dr.halim40@gmail.com). OCID ID: <https://orcid.org/0000-0002-5298-9741>

**Nizar Kabbani'nin Şiirinde Çirkinlik
(İradesi elinden alınmış halklar) Modeli**

Öz

Nizar Kabbânî şiir dünyasının parlak isimlerinden biri olarak kabul görür. Her ne kadar şiirlerine yöneltilen ahlaki yargılarda farklılık görülse de Edebiyat dünyasında ve Arap Edebiyatı ile ilgilenen herkesin nezdinde şairliği ve şiirsel varlığı hakkında görüş birliği bulunmaktadır. O'nunla ilgi yazılarda, şiirlerindeki güzellik ve estetik olgusuna sıklıkla yer verildiği ancak, "Çirkinlik" üzerine bir şeyin yazılmadığı görülecektir. Bu çalışmayla, Kabbânî'nin şiirinde yansıyan "Çirkinlik" olgusunu ve bu "Çirkinlik" in estetiği ele alınacaktır. Kabbânî'nin şiirlerinde "Çirkinlik" i üç farklı genel estetik çerçevede mülahaza edebiliriz:

İradesi elinden alınmış halklar modeli

Çelişkili zorba erkek modeli,

Çirkin kadın modeli,

Bu çalışmamızda İradesi elinden alınmış halklar model olarak ele alıp inceleyeceğiz.

Anahtar Kelimeler: Çirkinlik, Estetik, Nizar Kabbânî, Şiir.

**Ugliness in the Poetry of Nizar Qabbani
(The Peoples whose will taken away from them) model**

Abstract

The renowned poet Nizar Qabbani is a prominent name in the world of poetry; his name is well known to those interested in Arabic literature. Although people may differ on his poetry and the moral judgment on it, they do not differ over his poetic authority or his poetic presence in the literary world. Many have written on aesthetics in his poetry, but no one has indulged in studying "the ugly" in Nizar Qabbani's poetry. This paper will investigate the manifestations of ugliness in his poetry, and the aesthetics of this ugliness. In Kabbani's poems, we can think of estetik ugliness Kab in three different general aesthetic frameworks.

The Peoples whose will taken away from them

Conflicting bully male model,

Ugly female model,

In this study, we will examine The Peoples whose will taken away from them.

Keywords: Ugly, Aesthetics, Nizar Qabbani, Poetry.

مقدمة البحث:

يُعدُّ نزار قبَّاني من الشعراء الأعلام في العصر الحديث، وقد اعتنى الشاعر عناية خاصَّة بالمشاعر والشعر العاطفي، وبالتأكيد كان للمرأة في شعره حصَّة

(الشعوب السلبية) أنموذجاً صورة القبيح في شعر نزار قبّاني

كلية العلوم الإسلامية في جامعة أرتوكلو ماردين/ تركيا دكتور عبدالحليم عبدالله عضو هيئة تعليمية

الأسد، فهي الشريكة في أية علاقة عاطفية، وقد تناولَ غير واحد من الباحثين والدارسين شعر نزار قبّاني من هذه الزاوية.

أهمية البحث

يُعنى هذا البحث بدراسة شعر نزار قبّاني من زاوية أخرى لم يُسلط عليها الضوء من قبل، وهي صورة القبيح عند نزار، والمعنيّ بشعره يعلم أنّ القبيح لدى نزار قبّاني متعدّد، وله غير صورة، وتمثّل في غير أنموذج.

أهداف البحث

سيقوم هذا البحث باستجلاء صورة القبيح في شعر نزار، ولاسيما أنّ الشاعر عُرِفَ بالجمال، يتقرّاه ويتصدّه، ويصوّره أينما وجده، فهل وجود القبيح في شعره أمر استثنائي؟ أم كان مقصوداً وكان له غرض؟ وهل استطاع الشاعر أن يوظّفه جماليّاً؟

الدراسات السابقة:

تنقسم الدراسات السابقة إلى قسمين:

القسم الأول في دراسات جمالية:

1. جدل الجميل والقبيح ومقارنته في العمل الفني المطبوع لإحسان صطوف، مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية، المجلد الثلاثون - العدد الثاني - 2014
2. التجليات الجماليّة للقبيح في قصص زكريّا تامر السّلطة أنموذجاً، لعبير بركات، وهناء إسماعيل، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية - سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (29) العدد (1) 2007
3. سليمان، خالد. المفارقة والأدب، دراسات في النظريّة والتطبيق. عمّان: دار الشروق، الطبعة الأولى، 1999م.

والقسم الثاني في نزار قباني:

1. نجم، محمد يوسف: نزار قباني شاعر لكل الأجيال، ط: دار سعاد الصباح - الكويت 1998م
2. حيدوش، أحمد: شعرية المرأة وأنوثة القصيدة: قراءة في شعر نزار قباني، منشورات اتحاد الكتاب العرب - دمشق 2001م

نزار قباني في أسطر

نزار قباني دبلوماسي شاعر سوري معاصر ولد في 21 مارس 1932 لأسرة من أصل تركي، واسم عائلته الأصلي آق بايق (Ak baiyk) وهي عائلة مشهورة في دمشق، ف (آق) تعني الأبيض و(بايق) يعني الشارب، حيث قدم جدّه من مدينة قونية التركية ليستقرّ في دمشق.

درس نزار الحقوق في الجامعة السورية وفور تخرجه منها عام 1945 انخرط في السلك الدبلوماسي متنقلاً بين عواصم مختلفة وتقل خلال ذلك العمل بين القاهرة، وأنقرة، ولندن، ومدريد، وبكين، ولندن؛ حتى قدّم استقالته عام 1966، ترك نزار العمل الدبلوماسي وأسس في بيروت داراً للنشر تحمل اسمه، وتفرّغ للشعر، وكانت ثمرة مسيرته الشعريّة إحدى وأربعين مجموعة شعرية ونثرية، كانت أولها (قالت لي السّمراء) 1944م.

اشتهر شعره بتميز واضح وابداع متأثراً بكل ما حوله فكتب عن المرأة الكثير، كان لانتحار أخته بسبب رفضها الزواج من رجل لا تحبه، أثر عميق في نفسه وشعره، فعرض قضية المرأة والعالم العربي في العديد من قصائده، رافضاً شوفينية الرجال. نقلت هزيمة 1967 شعر نزار قباني نقلة نوعية : من شعر الحب إلى شعر السياسة والرّفص.

(الشعوب السلبية) أنموذجا صورة القبيح في شعر نزار قباني

كلية العلوم الإسلامية في جامعة آرتوكلو ماردين/ تركيا دكتور عبدالحليم عبدالله عضو هيئة تعليمية

ولنزار عدد كبير من الكتب النثرية أهمها : " قصتي مع الشعر، وما هو الشعر؟ والكتابة عمل إنقلابي. ونُعدُّ (قصتي مع الشعر) السيرة الذاتية لنزار قباني حيث كان رافضا أن تُكْتَبُ سيرته على يد أحدٍ سواه، وقد طبعت جميع دواوين نزار قباني ضمن مجلدات تحمل اسم المجموعة الكاملة لنزار قباني، وبعد مقتل زوجته غادر نزار لبنان، وظل متنقلاً بين باريس وجنيف حتى وافته المنية عن عمر يناهز 75 عاما في لندن يوم 1998/4/30

معنى القبيح

القبيحُ صفةٌ مشبهة من (القبح)، والنظر إلى القبح في الفن، يعني النظر إلى مقولة إشكالية تأخر الاعتراف بها والإقرار بأهميتها إلى العصر الحديث؛ وذلك لأنَّ العودة إلى تاريخ الفن تكشف عن الفجوة الواسعة بين النظرة الإبداعية إلى القبح، والنظرة النقدية إليه، فبينما النقط المبدعون موضوعات الواقع بحساسية خاصة، وقف النقاد موقفاً رافضاً ومعارضاً لها، لاعتبارات أخلاقية جعلت الدور التربوي للفن مشروطاً بالانسجام مع المثل الأعلى الذي تحدده الشروط الزمانية، والمكانية، والحضارية لكل بلد.

ولكننا قبل أن نخوض في المعنى الاصطلاحي لابد لنا أن نفكر في المعنى اللغوي الذي أثبتته المعجمات.

المعنى اللغوي

القبيح : صفةٌ مشبهة تدلُّ على الثبوت من قُبِحَ : وهو الدَّمِيمُ، وعكسه الجميل، والقبيحُ: كُلُّ ما يَنْفِرُ منه الذَّوق السَّلِيم، ويأباه العرف العام، ويكون في القول والفعل، وهو الشَّائِن، والمهين، والمُخْجَل، وعكسه الحَسَنُ، وفي الفقه: المكروه، وعكسه حَسَن، وجمعه: قَباح وقَبْحَى، ومؤنثه: قبيحة، جمع مؤ قبيحات وقبائح)

لغير العاقل (وقِيَّاح، ومَقَابِحُ [جمع]: مفرده قُبُح (على غير قياس) ومَقْبُحة: ما يُستقبح من الأخلاق، ضدّها المحاسن، ويستعمل جمعاً للقُبْح على غير قياس "من يتجاهل أعرافَ المجتمع تكثر مَقَابِحُه" والمَقَابِح والممادح: مساوئ الأخلاق ومحاسنها..¹

المعنى الاصطلاحيّ

ربما يكون من الصّعب تحديد مفهوم القبيح بمعزل عن مفهوم الجميل، لكننا إذا افترضنا أنّ الجميل والقبيح ضدان في المفهوم الشائع، فهما ليسا كذلك في الطرح الاستطقي والفني، وقد دَهَبَ غير واحدٍ من المفكرين أنّ الجميل يبعث على المتعة، ومع تجاوز القيود التقليدية فإن القبيح يخلق في العمل الفني متعة من نوع آخر.²

"الجمال هو قيمة إيجابية نابعة من طبيعة الشيء خلعنا عليها وجودا موضوعيا؛ أو في لغة أقل تخصصا: الجمال هو لذة نعتبرها صفة في الشيء ذاته؛ أي أنه ليس إدراكا لحقيقة واقعة أو لعلاقة؛ وإنما هو انفعال لطبيعتنا الإرادية التذوقية. فلا يكون الموضوع جميلا إذا لم يولد اللذة في نفس أحد،

1 انظر: عمر، أحمد مختار. (2008م): معجم اللغة العربية المعاصرة، مطبعة عالم الكتب، القاهرة، ص1765

2 انظر: صطوف، إحسان. (2014م): جنل الجميل والقبيح ومقارنته في العمل الفني المطبوع، مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية، المجلد الثلاثون - العدد الثاني، ص244

7 — (الشعوب السلبية) أنموذجا صورة القبيح في شعر نزار قبّاني

كلية العلوم الإسلامية في جامعة أرتوكلو ماردين/ تركيا دكتور عبدالحليم عبدالله عضو هيئة تعليمية

والجمال الذي لا يهتم به أحد مطلقا إنما هو تناقض في الألفاظ؛ أي أنها إحساس بوجود شيء حسن أو بانعدام شيء حسن (في حالة القبح)³ والواقع أنّ الاهتمام الحديث بالقبح، كمقولة هامّة وأساسيّة من مقولات علم الجمال، جاء لاعتبارات فنيّة خاصّة، فهو يشكّل - كما يرى هيغو (Viktor Hugo) - دافعاً قوياً للفنّ، غنياً بالملاحم والتعابير إلى درجة يفوق فيها ما يمكن لأنموذج الجميل أن يقدّمه.⁴

وعليه يمكن القول: إنّ المتعة التي يُسببها العملُ الفنّي بفضل مهارة الفنان في نقل القبيح، تحمل في طبيّاتها ضمناً أنّ ما هو قبيح كل القبح، يمكن أن يتحوّل بسبب المعالجة الفنيّة البديعة للفنان إلى ممتع في الفن، فيفهمه الإدراك على أنه جميل، وهكذا فإنّ الانفعال الشعوري الذي يثيره القبح قد يفوق في كثير من الأحيان ما يستطيع الجمال أن يثيره من تعاطف لدى المُتلقي. والأمثلة هنا أكثر من أن تحصى في هذا الباب، فاللوحاتُ التشكيليةُ المؤذية أحياناً بفاجتها تُؤدّ قيماً جماليّةً تفوق تلك التي تركز على العناصر الكلاسيكيّة.⁵

3 انظر: شندي، صبري عبد الله (1996)، القيم الجمالية في فلسفة الفن عند هربرت ريد، أطروحة

ماجستير غير منشورة، مصر: بأداب بنها ص6-10 نقلا عن: العبد، عبدالحكيم عبدالسلام (النقد

الجمالي وعلم الجمال - القسم الأول: النقد الجمالي مذهباً) 2.2.2018

<http://kenanaonline.com/users/HAKIM/tags/6093/posts#http://kenanaonline.com/users/HAKIM/posts/109695>

4 انظر: بركات، عبير وإسماعيل، هناء. (2007م): التّجليات الجماليّة للقبيح في قصص زكريّا تامر

السلطة أنموذجاً، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلميّة - سلسلة الآداب والعلوم الإنسانيّة

المجلد (29) العدد (1)، ص123-124

5 انظر: محمود، رهام راجح: جماليات القبيح الفنّي، من صفحة توقيت دمشق. نقل بتاريخ 3.3.2018

<http://www.damas->

[times.com/?title=%D8%AC%D9%85%D8%A7%D9%84%D9%8A%D9%91%D8%A7%D8%AA%20%D8%A7%D9%84%D9%82%](http://www.damas-times.com/?title=%D8%AC%D9%85%D8%A7%D9%84%D9%8A%D9%91%D8%A7%D8%AA%20%D8%A7%D9%84%D9%82%)

[D8%A8%D8%AD%20%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%86%D9%91%D9%8A&page=8&page_id=19546](http://www.damas-times.com/?title=%D8%AC%D9%85%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%86%D9%91%D9%8A&page=8&page_id=19546)

القُبَيْحُ فِي شِعْرِ نَزَارٍ

يتجلى القبيح - في قصائد نزار قباني - في مجالات متعدّدة، ويمكن تأطيره في ثلاثة أطرٍ فنيةٍ عامة، ويمكن تفريع كل إطار إلى نماذج متعدّدة:

1. أنموذج سلبية الشعوب، ويدخل في هذا المحور صورٌ متعدّدة، منها: صورةُ الشعوبِ المستلبة، وصورةُ المجتمعِ ومنظومتهِ القيمية، وصورةُ الحاكمِ المستبدِّ.

2. أنموذج الرّجل المتسلّط المتناقض.

3. أنموذج المرأة القبيحة.

غير أنّني سأقتصر على سلبية الشعوب أنموذجاً؛ لِمَا في هذا المحورِ مِنْ غِنَى وَتَنوّعٍ.

الصورة الأولى: صورة الشعوبِ المُستلبة:

يجسد نزارُ الشعوبِ المستلبةَ بصورةٍ قبيحةٍ تجعلك تنفّرُ منها، وهو أكثرُ ما يتناول بهذا الوصفِ الشعوبَ العربيّة، فيبرزُها بأكثر من صورة، ولعلّ صورة التمزّقِ والتشرّدِ والضعفِ والسلبية أبرزُ الصور لتلك الشعوب، إذ يقول في قصيدته (إلى أين يذهب مَوْتِي الوَطَنُ):⁶

نَمُوتُ مُصَادِفَةً كَكِلَابِ الطَّرِيقِ

وَنَجْهَلُ أَسْمَاءَ مَنْ يَصْنَعُونَ الْقَرَارَ

نَمُوتُ وَلَسْنَا نُنَاقِشُ كَيْفَ نَمُوتُ ؟ وَأَيْنَ نَمُوتُ ؟

فِيوَمَا نَمُوتُ بِسَيْفِ الْيَمِينِ

6 قباني، نزار. الموسوعة العالمية للشعر العربي (إلى أين يذهب مَوْتِي الوَطَنُ) نقل بتاريخ 1.1.2018
<http://www.adab.com/modules.php?name=Sh3er&doWhat=shqas&qid=68916&r=&rc=>

(الشعوب السلبية) أنموذجاً صورة القبيح في شعر نزار قباني

كلية العلوم الإسلامية في جامعة أرتوكلو ماردين/ تركيا دكتور عبدالحليم عبدالله عضو هيئة تعليمية

ويومًا نَموتُ بسيفِ اليبسارِ
نموتُ مِنَ الْقَهْرِ حَرْبًا وَسِلْمًا
وَلَا نَتَذَكَّرُ أَسْمَاءَ مَنْ شَيَّعُونَا
وَلَا نَتَذَكَّرُ أَوْجَهَ مَنْ قَتَلُونَا
فَلَا فَرَقَ، فِي لِحْظَةِ الْمَوْتِ
بَيْنَ الْمَجُوسِ وَبَيْنَ النَّتَّارِ .

فالشاعر في المقطع السابق يصور بضمير المتكلم الجمع، وهو يقصد بهذا الاستخدام الشعوب العربية التي لا حول لها ولا قوة، إذ تموت هذه الشعوب مصادفة ولا أحد يسأل عن يموت منها كما تموت الكلاب، ولا شك في أنها صورة صادمة تجعلك تنفر منذ البدء من هذه الشعوب، ثم يفصل في سمات هذه الطبقة التي هو بصدد الحديث عنها، فهي طبقة مغيبة عن الساحة والمشهد العام، وثمة مسافة كبيرة تفصل بينها وبين صنّاع القرار، وهنا لا بدّ من الإشارة إلى أن الكلام يحمل وجهين: أحدهما أن لبلدنا صنّاع قرارٍ شكليين هم في الواجهة وفي الظلّ من خلفهم صنّاع قرارٍ حقيقيون هم الذين يحركون من هم في الواجهة. والمعنى الآخر: أن صنّاع القرار في هذه البلاد لصوص أنانيون منفصلون عن شعوبهم، ولذلك صارت هذه الشعوب غير آبهة لأسماء تلك الطبقة وأسماء أولئك الأوغاد الذين يمضون دوما في قهر شعوبهم.

ويؤكد نزار في خطاب شعري آخر أن الجماهير هي الجماهير العربية، ويجسّد هذا الخطاب على لسان الحاكم المطلق في قصيدته (السيرة الذاتية لسياف عربي):⁷

⁷ قباني، نزار. الموسوعة العالمية للشعر العربي (السيرة الذاتية لسياف عربي) نقل بتاريخ 2018.1.21
<http://www.adab.com/modules.php?name=Sh3er&doWhat=shqas&qid=1203>

يا جماهيرِ بلادي
يا جماهيرِ الشعوبِ العربيَّةِ
إنَّني روحٌ نقيٌّ جاءَ كي يَغسلُكم من غبارِ الجاهليَّةِ
صَوَّروني
بوقاري وِجلاي وعصايِ العسكريَّةِ
صَوَّروني
وأنا أقطعُ - كالنَّفَّاحِ - أعناقَ الرعيَّةِ.
صَوَّروني
وأنا أصطادُ وِعلاً أو عَزالاً
صَوَّروني وأنا أفترسُ الشَّعرَ بِأسناني
وأمتصُّ دماءَ الأَبجديَّةِ
صَوَّروني عندما أحمُكم فوقَ أكتافي لِدارِ الأبديةِ!!

واللَّفتُ للنَّظرِ في المقطعِ السَّابقِ، الكمُّ المذهلُ من الاستهزاء الَّذي حمَّله
الحاكمُ إلى هذه الجماهيرِ، فقد كانَ خطابُه مستفزاً ومنقراً وقبيحاً لدرجةِ تعريفِه
الجماهيرَ بأنَّه يعرفُ السُّوءَ الَّذي يُوقَعُ بهم، فهو يقتلُهم في حياتهم مادياً ومعنوياً،
ويُصادر حواسِّهم ومعارفهم وشعرهم، ويُطالبُهم بالاحتفال بهذا القهر، ليَتَّخذوا من
صُورِه صوراً تذكاريَّةً تظهرُ محبتهم له واحتفاءهم به.

الصُّورة الثَّانية: صورة المجتمع ومنظومته القيمية

صورة المجتمع ومنظومته القيمية ليست حالةً عابرةً أو صفةً عارضةً في موقف
ما، أو في مكانٍ ما دون آخر، فالشاعرُ وجد على امتدادِ حياته أنَّ البلادَ العربيَّةَ

— أو تلك التي تُسمّى البلاد العربيّة مجازًا - بلادًا قاسيةً جدًّا، لا تتسامح معه في

أي فعلٍ يفعله. إذ يقول في قصيدة (متى يعلنون وفاة العرب):⁸

أحاولُ منذُ الطُّفولةِ رسمَ بلادٍ

تُسمّى - مجازًا - بلادَ العرب.

تُسامحني إنْ كسرتُ زجاجَ القمرِ

وتشكرني إنْ كتبتُ قصيدةَ حبٍّ

وتسمحُ لي أنْ أمارسَ فعلَ الهوى

ككلِّ العصافيرِ فوقَ الشجرِ

أحاولُ منذُ البداياتِ

أنْ لا أكونَ شبيهًا بأيِّ أحدٍ

رَفَضْتُ الكلامَ المُعلَبَ دَوْمًا

رَفَضْتُ عِبادةَ أيِّ وثنٍ

أحاولُ رسمَ مدينةِ حبٍّ

تكونُ مُحَرَّرَةً من جميعِ العقْدِ

فلا يذبحونَ الأثوثةَ فيها

ولا يَقْمَعُونَ الجَسَدَ

فنزار قباني يتحدث في المقطع السابق عن البلاد العربيّة، وهنا لنا أن نتخيّل

كلامه على الحكومات ولنا أن نتخيّله على المجتمعات ومنظومتها الفكرية والقيمية،

والذي أميل إليه هو التصوّر الثاني، فهو عندما يتمرد على السائد في هذا المجتمع

ويرفضه، إنّما يرفض المنظومة القيميّة لهذا المجتمع التي تمثّلت في نظره بإطار

⁸ قباني، نزار. الموسوعة العالمية للشعر العربي (متى يعلنون وفاة العرب) نقل بتاريخ 3.1.2018

<http://www.adab.com/modules.php?name=Sh3er&doWhat=shqas&qid=309>

من المضمون القبيح الذي رآه وعائشه وأنكره، فهذه بلاد تُثقلها العُقْدُ، وتجتزُّ ذاتها بازدواجية القيم، وهذه البلاد من جانبٍ تُؤلِّهُ ثُلَّةٌ محدودةٌ من أفرادها فتضفي عليهم من صفات الرِّيبيَّة، فلا يغدو من فرقٍ بينها بين عبْدَةِ الأوثانِ، ومن جانبٍ آخَرَ لا تشجع أبناءها على جميلٍ يفعلونه، ولا تتسامح معهم إن هم عبَّروا عن مشاعرهم وأهوائهم، بل وتحاولُ أن تُقَوِّلَهُمْ بِقَالِبٍ واحدٍ، ليغدو بعضهم نسخًا مكرَّرَةً من بعض، وهو لا ينسى أن يعبِّرَ عن امتعاضه من هذه المنظومة التي تقوم على قمع الأنوثة، وعلى انتقاص الأُنثى. يقول في قصيدة (الخرافة):⁹

حِينَ كُنَّا فِي الْكَتَاتِبِ صِغَارًا

حَقَّنَا بِسَخِيفِ الْقَوْلِ لَيْلًا وَنَهَارًا

دَرَّسُونَا:

(رُكْبَةُ الْمَرَأَةِ عَوْرَهُ

ضِحْكَةُ الْمَرَأَةِ عَوْرَهُ

صَوْتُهَا - مِنْ خَلْفِ ثَقْبِ الْبَابِ - عَوْرَهُ)

صَوَّرُوا الْجِنْسَ لَنَا

عُولاً بِأَنْيَابٍ كَبِيرَةٍ

يَخْنُقُ الْأَطْفَالَ.. يَقْتَاتُ الْعَدَارَى

حَوَّقُونَا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ إِنْ نَحْنُ عَشَقْنَا

هَدَّدُونَا بِالسَّكَاكِينِ إِذَا نَحْنُ حَلَمْنَا

فَنَشَأْنَا كَنْبَاتَاتِ الصَّحَارَى

نَلْعُقُ الْمِلْحَ، وَنَسْتَأْفُ الْعُبَارَا

⁹ قباني، نزار . الموسوعة العالمية للشعر العربي (الخرافة) نقل بتاريخ 5.1.2018

(الشعوب السلبية) أنموذجاً صورة القبيح في شعر نزار قباني

13 — كلية العلوم الإسلامية في جامعة أرتوكلو ماردين/ تركيا دكتور عبدالحليم عبدالله عضو هيئة تعليمية

ويرى المطالع في الشعر أن نزاراً يجعل من المجتمع ومنظومته الفكرية والتعليمية سبباً رئيساً في رواج هذه القيم، وهي السبب في إيجاد أجيال متلاحقة متصفة بهذه الصفات، تقوم على قمع الرجل في أشياء، وغفران موبقاته في أشياء أخرى، لكنّها ثمارس القمع كل القمع على المرأة. يقول في قصيدة (يوميات امرأة لا مبالية)¹⁰:

أريد.. أريد أن أحيأ
بكل حرارة الواقع
بكل حماقة الواقع
يعود أخي من الماخوز
عند الفجر سكرانا
يعود كأنه السلطان
من سمأه سلطانا ؟
ويبقى في عيون الأهل
أجملنا وأغلنا
ويبقى في ثياب العهر
أطهرنا وأنقانا
يعود أخي من الماخوز
مثل الديك نشوانا
فسبحان الذي سواه من ضوء
ومن فحم رخيص نحن سوانا

¹⁰ قباني، نزار. الموسوعة العالمية للشعر العربي (يوميات امرأة لا مبالية) نقل بتاريخ 9.1.2018
<http://www.adab.com/modules.php?name=Sh3er&doWhat=shqas&qid=283>

وسُبْحَانَ الَّذِي يَمْحُو خَطَايَاهُ

وَلَا يَمْحُو خَطَايَانَا

فعلى الرغم من أنّ الشابّ الذي يتحدّثُ عنه المقطع يرجع من الماخور إلى البيت سكران ونشوان، إلاّ أنّه يعود مزهواً بعمله يجرّ خطاهُ كما يتبختر الدّيك، ثمّ يعقد نزار موازنة سريعة على لسان المتكلّمة في القصيدة، التي تريد بدورها أن تحيا حياتها بحريّة كما يحيا أخواها، لكنها تصطم بصورة قبيحة هي مرارة الواقع، فتجد أنّ فرقا بينهما، فخطاياها مغفورة كأنّه سلطان لا يُسأل عمّا فعل، وهي ممنوعة من كل شيء، ثمّ تتساءل من سلطنته، ومن جعله من ضياء ونور، وجعل البنات كأنهنّ من فحمٍ أسود مبتدلٍ رخيص.

ويخصّ نزار قبّاني الرّجلَ (الأب) بشيء من القبيح الذي يتّصفُ به المجتمع، على لسان الشّابّة التي كان يتحدّث عنها في قصيدة (يوميات امرأة لا مبالية)، يقول:¹¹

كفرتُ أنا .. بِمَالِ أَبِي

بِلُؤْلُؤِهِ ... بِفَضِيهِ

أبي لم ينتبه يوماً إلى جسدي وثورته

أبي رَجُلٌ أَنَانِيٌّ

مَرِيضٌ فِي مَحَبَّتِهِ

مَرِيضٌ فِي تَعَنُّتِهِ

يَثُورُ إِذَا رَأَى صَدْرِي

تَمَادَى فِي اسْتِدَارَتِهِ

¹¹ قبّاني، نزار . الموسوعة العالمية للشعر العربي (يوميات امرأة لا مبالية) نقل بتاريخ 9.1.2018
<http://www.adab.com/modules.php?name=Sh3er&doWhat=shqas&qid=283>

(الشعوب السلبية) أنموذجا صورة القبيح في شعر نزار قباني

كلية العلوم الإسلامية في جامعة أرتوكلو ماردين/ تركيا دكتور عبدالحليم عبدالله عضو هيئة تعليمية

يثورُ إذا رأى رجلاً
يُقربُ من حديقته
أبي.. لن يمنع التفاح عن إكمال دورته
سيأتي ألف عصفورٍ
ليسرق من حديقته

فلا ريب أن نزاراً أسقط ما في نفسه على لسان الشابة التي يتكلم بلسانها على طبيعة المجتمع وتركيبية التسلط فيه، فرأى أن قسطاً كبيراً من القبح يجتمع في شخصية الأب المتسلط، فهو لا يظلم في معاملته بين أولاده البنين والبنات فحسب؛ بل يتعدى ذلك ليمارس القهر والحجر بكل صورته على البنات، لدرجة أن بطله نزار تقول (كفرت أنا بمال أبي/ أبي لم ينتبه يوماً إلى جسدي/ أبي رجل أناني/ مريض في محبته / مريض في تعنته) ثم تنطلق مُعلنةً تحديها له بقولها: (أبي لن يمنع التفاح عن إكمال دورته).

على أن سلبية المجتمع لا تكمن في الدكتاتورية في التربية والتمييز بين تربية البنات والأولاد، بل في سلبية متناهية أمام الحاكم المستبد الذي جعل المجتمع كالجوقة التي لا دور لها إلا اجترار ما يعمله قائد الأوركسترا وترديده في صورة منقرة وقبيحة جداً. إذ يقول في قصيدة (عزف منفرد على الطبلّة):¹²

الحاكم يضرب بالطبلّة
وجميع وزارات الإعلام تدق على ذات الطبلّة
وجميع وكالات الأنباء تضخم إيقاع الطبلّة
والصحف الكبرى والصغرى

¹² قباني، نزار. الموسوعة العالمية للشعر العربي (عزف منفرد على الطبلّة) نقل بتاريخ 11.1.2018
<http://www.adab.com/modules.php?name=Sh3er&doWhat=shqas&qid=69061>

تعمل أيضاً راقصةً

في ملهى تملكه الدولة

لا يوجد صوت في الموسيقى

أرداً من صوت الدولة.

فالحاكم يقول والجماهير بكل أطيافها ومستوياتها ومراكزها تصفق، وتطبل، وتزمر لما قال، ولا تثريب إن كان ما يعمله الحاكم صواباً، لكن واقع الحال أن فعله خاطئ، وأنه بالقياس كالصوت الرديء.

الصورة الثالثة: صورة الحاكم المستبد

لعل هذه الصورة متلازمة مع الصورة السابقة الذكر، فبين صورة الحاكم المستبد والجماهير المغيبة المحوقة علاقة جدلية، فهذا الحاكم ابن الشعب، ويظهر فيه ما في المجتمع من صفات وموروث خلقي، ولو أنه ذهب وجاء غيره لفعل مثل فعله، ولعل الحاكم الذي مارس كل الرجولة والفحولة على جماهيره فاستلبها وسحقها، ولم يكن أكثر من خصي أمام الأخطار الخارجية. يقول في قصيدة (تقرير سرّي عن بلاد قمعستان):¹³

لم يبقَ فيهم لا أبو بكرٍ ولا عثمانُ

جميعهم هياكلٌ عظيمةٌ في متحفِ الزمانِ

تساقطَ الفرسانُ عن سروجهم

وأعلنتْ دويلةُ الخصيانِ

واعتقلَ المؤذنونَ في بيوتهم

وألغى الأذانَ

¹³قباي، نزار. الموسوعة العالمية للشعر العربي (تقرير سرّي عن بلاد قمعستان) نقل بتاريخ 11.1.2018
<http://www.adab.com/modules.php?name=Sh3er&doWhat=shqas&qid=305>

جميعهم تضحمت أنداؤهم

وأصبحوا نُسوان

جميعهم يأتيهم الحيض، ومشغولون بالحمل

وبالرضاعة

جميعهم قد ذبحوا خيولهم

وارتهنوا سيوفهم

وقدموا نساءهم هدية لقائد الرومان

فنزار يقدم في هذا المقطع صورة قبيحة للحاكم العربي، أو الحكام العربي، أمام العدو الخارجي، فيضفي على هؤلاء الحكام صفات لصيقة بالنساء، إذ يأتيهم الحيض، ويحبسون، ويولدون، وكأنه سكت عن شيء يلزم عنه الحبل والولادة، لكن الحياء وسياق المقال يغنيان عن التفصيل، ما لا يكون الحمل من دونه، ولا سيما أن زمن المعجزات انتهى.

على أن أولئك الحكام الذين كانوا كالجواري عند العدو الخارجي، كانوا بصورة مختلفة تماما أمام شعوبهم، فقد تسلطوا وملكوا واسترقوا وسرقوا واغتصبوا العباد والبلاد، فأضحت لهم كالثق المبروشة. يقول في قصيدة (هذه البلاد شقة مبروشة):¹⁴

هذي البلاد شقة مبروشة يملكها شخص يسمى عنتره

يسكر طول الليل عند بابها

ويجمع الإيجار من سكانها

ويطلب الزواج من نسوانها

¹⁴ قباني، نزار. الموسوعة العالمية للشعر العربي (هذه البلاد شقة مبروشة) نقل بتاريخ 12.1.2018
<http://www.adab.com/modules.php?name=Sh3er&doWhat=shqas&qid=379>

وَيُطْلِقُ النَّارَ عَلَى الْأَشْجَارِ، وَالْأَطْفَالِ، وَالْعُيُونِ، وَالضَّفَائِرِ الْمُعْطَرَةَ
هَذِي الْبِلَادُ كُلُّهَا مَزْرَعَةٌ شَخْصِيَّةٌ لِعَنْتَرَةَ
سَمَاوُهَا هَوَاؤُهَا نِسَاؤُهَا حُقُولُهَا الْمُخْضَوْضَرَةَ

لا ريب في أن الصورة السابقة لعنترة - وهو الرمز الذي كنى به عن الحاكم
المستبد - صورة مقززة، لإنسان تحلل من كل خلقٍ حسنٍ، فهو سكيرٌ عريذٌ
متوحشٌ قاتل واستولى عليها بالقوة، فغدا كل ما عليها له، ولم يبقَ إلا أن يدعي
بأنه إلهٌ وعلى الناس أن يعبدوه، على أنه لا يفوت هذه الفرصة في قصيدةٍ أخرى،
فيصرح على لسان الحاكم بأنه لما غدا سلطانا صار لهم رباً. يقول في قصيدة
(السيرة الذاتية لسياف عربي):¹⁵

أيها الناس:

لقد أصبحت سلطاناً عليكم

فاكسروا أصنامكم بعد ضلالٍ، واعبدوني

إنني لا أتجلى دائماً

فاجلسوا فوق رصيف الصبر، حتى تبصروني

أجل هذا هو شعور الحاكم، جسده نزارٌ من خلال المقطع السابق وقصائدٍ آخر،
إذ تناسى إنسانيته وصار يتطلع إلى الربوبية، ووجب على رعيته (عبيده) أن تشكره
في كل الأحوال: في السراء والضراء، حتى إنه ليظن أنه مخلوقٌ لكي يحكمهم، ولا
بد أن يُنفذ ذلك القدر، ولا مجال للتراجع عن هذه المهمة الإلهية الموكلة إليه.
يقول:¹⁶

¹⁵ قباني، نزار. الموسوعة العالمية للشعر العربي (السيرة الذاتية لسياف عربي) نقل بتاريخ 2.1.2018
<http://www.adab.com/modules.php?name=Sh3er&doWhat=shqas&qid=1203>

¹⁶ قباني، نزار. الموسوعة العالمية للشعر العربي، (السيرة الذاتية لسياف عربي) نقل بتاريخ 3.1.2018

كَلَّمَا فَكَّرْتُ أَنْ أُتْرَكَهُمْ

فَاضَتْ دُمُوعِي كَغَمَامَةٍ

وَتَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ

وَقَرَّرْتُ بِأَنْ أُرَكِبَ الشَّعْبَ

مِنَ الْآنَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ

فالحاكم في الصورة السابقة ذو صورة قبيحة، إذ هو يعلم بأنه يركب الشعب، ويذلهم، ويستعبدهم، فلمن يتركهم يركبهم؟ وهو قد خلق حتى يركب الشعب إلى يوم القيامة.

الخاتمة:

من يطالع شعر نزار يقف على قيمتين جماليتين متداخلتين فيما بينهما، وهما: قيمة الجميل وقيمة القبيح، وقد قام هذا البحث بعرض جانب من جوانب القبيح في شعر نزار قباني أنموذجا، وهو أنموذج الشعوب السلبية، وقد ارتكز هذا الأنموذج على تداخل صور متعددة: صورة الشعوب المستلبة، وصورة المجتمع ومنظومته القيمية، وصورة الحاكم المستبد، وذلك لأن العلاقة بين هذه الصور علاقة جدلية، كلٌ منها يقتضي الصورتين الأخرين، بل إن وجود هذه القيم - التي عرفَ خلافها عن الشاعر - مقصودٌ لدى الشاعر، فلا يُستطاعُ اكتتاهُ الجمال من دون معرفة القبح، إذ الأشياء تُعرف بأضدادها، وقد وقفنا على صور قبيحة، وربما كان بعضها غاية في القبح، واستطاع الشاعر أن يجسد صورة القبيح تجسيدا جمالياً أحاداً، بحرفية جعلتنا نتلذذ بتذوق تلك الأمثلة القبيحة فعمق مفهومها القبيح في ذاتنا.

